

عذاب القبر

القبر هو البيت الأبدي، هو البيت الحقيقي للذي يبحث عن الخلود والسعادة الدائمة، إذا كان هذا القبر منوراً واسعاً بأعمال صاحبه، ويكون أيضاً هو الباب الأول من أبواب الآخرة لشدة العذاب بضيقه وظلمته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس إلى قبرٍ منها، فقال: «ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو يُنادي بصوتٍ ذليٍّ طليٍّ: يا ابن آدم نيتني؟ ألم تعلم أنني بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا من وسعني الله عليه» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»^(١).

شرح الحديث:

ويُح للإنسان ما أظلمه، ألا يسمع نداء قبره وهو يقول: يا ابن آدم انتبه لا تعصر سيّدك لأنني مكنك، ألا تعلم أنني بيت الدود والوحشة والوحدة، أضغط عليك ضغطة حتى تختلف بها أضلاعك وتتمزق بها عروقك، ويتآكل بها لحمك، وإما أن يكون يا ابن آدم هنيئاً لك مكنك الذي ينتظرك فأنا بيت الراحة والجمال والهناء لأنك تطيع مولاك ولا تعصيه.

الدليل القرآني

قال عزّ من قائل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر، الآية: ٤٦] .

القبر يتكلم مع صاحبه

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هازم اللذات - الموت - فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود».

فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وَلَّيْتُكَ اليوم وصرت إليّ فستري صني بك .

قال: فيُتَّسَع له مدّ بصره، ويفتح له باب إلى الجنة .

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وَلَّيْتُكَ اليوم وصرت إليّ فستري صني إليك .

قال: فيلتمُّ عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه .

قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه وهو يدخل بعضها في جوف بعض: «ويقيض الله له تسعون تنيناً»، أو قال: «تسعة وتسعون، لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا، فينهشه حتى يقضى به إلى الحساب» .

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»^(١) .

ما نقول للميت وهو في قبره

روي أن الحسن البصري رحمته الله رأى بنتاً على قبر تنوح وتقول: يا أبت كنت أفرش فراشك فمن فرش الليلة؟ يا أبت كنت أطعمك فمن أطعمك

(١) أخرجه الترمذي وحسنه .

الليلة؟ إلى غير ذلك.. فقال لها الحسن: لا تقولي كذلك بل قولي: يا أبتِ وضعناك متوجّهاً إلى القبلة فهل بقيت أو حوّلت عنها؟ يا أبتِ هل كان القبر روضةً من رياض الجنة أو حفرةً من حفر النيران؟ يا أبتِ هل أجبت الملكان على الحق أم لا؟ قالت: ما أحسن قولك يا شيخ، وقبلت النصيحة.

أخرج أبو إسحاق الفزاري أنه أتاه رجلٌ فقال له: كنت أنبش القبور، وكنت أجد قوماً وجوههم لغير القبلة، فكتب إلى الأوزاعي يسأله فقال: أولئك قومٌ ماتوا على غير السّنة.

تغير أشكالهم في القبور

أخرج عن عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى الضبي قال: قيل لنباش قد تاب: ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلاً فإذا هو مسمّرٌ بالمسامير على سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجله.

قال: وقيل لنباش آخر: ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت جمجمة إنسان مصوباً فيها رصاص.

حقاً على كل من دخل القبر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيوسع له في قبره، ويفرج له فيه ثم قرأ: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٧]، وإن الكافر إذا أدخل في قبره أجلس فيه فقيل له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيضيق على قبره، ويعذب فيه ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه، الآية: ١٢٤].»

فتى رزق الحجة في قبره

من تاريخ ابن النجار بسنده عن أبي القاسم هبة الله بن سلامة المفسر

قال: كان لنا شيخٌ نقرأ عليه فمات بعض أصحابه، فرآه الشيخ في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: فما حالك مع منكّرٍ ونكير؟ قال: يا شيخي لما أجلساني وقالوا لي: من ربك؟ ومن نبيك؟ فألهمني الله أن قلت لهما: بحق أبي بكر وعمر دعاني. فقال أحدهما للآخر: قد أقسم علينا بعظيم دعه. فتركانني وانصرفا.

عباداته تدافع عنه

قال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة: الصلاة والصيام، والحجّ والزكاة، والجهاد والصدقة، قال: فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجله، فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما، فيأتونه من قبل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال عطشه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه، فيأتونه من قبل جسده فيقوم الحج والجهاد - وفي زماننا الجهاد في طلب العلم - ويقولون: إليكم عنه، قد أتعب نفسه، وأتعب بدنه، وحجّ وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه، قال: فيأتونه من قبل يديه: فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه. قال: فيقال له: هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً، قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة وغطاءً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره^(١).

آيات تمنع قارئها من عذاب القبر

أخرج أبو عبيد الله في «فضائله» والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال: إن الميت إذا مات أوقدت نيران حوله فتأكل كل نار ما يليها إن لم يكن له عمل يحول بينه وبينها، وإن رجلاً مات ولم يكن يقرأ من القرآن إلا

(١) مكاشفة القلوب.

سورة: تبارك الذي بيده الملك، فأتته من قبل رأسه فقالت: إنه كان يقرأني، فأتته من قبل رجله فقالت: إنه كان يقوم بي، فأتته من قبل جوفه فقالت: إنه كان يحبني وعمل بي، فأنجته^(١).

وعن خالد بن معدان قال: بلغني أن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَائِكِينَ﴾ [السَّجْدَةُ، الآيتان: ١، ٢] تجادل عن صاحبها في القبر، وتقول: اللهم إن كنت من كتابك فشفعني عليه فتشفع له، وإن لم أكن من كتابك فامحني منه وإنها تكون كالطير تجعل جناحيها عليه فتشفع له وتمنعه من عذاب القبر، وفي ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الْمُلْكُ، الآية: ١] مثله، وكان خالد لا يبيت حتى يقرأ بهما^(٢).

أفعال توجب صاحبها عذاب القبر

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ مرَّ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول - أي لا يتطهر - وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشققها باثنتين فجعل على كل قبر واحدة. فقالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»^(٣).

الصلوات تدفع أشد العذاب

وفي الحديث: «إن بين يدي الخلق خمس عقبات لا يقطعها إلا كل ضامر ومهزول»، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما هي يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «أولها الموت وغصته، وثانيها القبر وحشته وضيقه، وثالثها سؤال منكر ونكير وهبتهما، ورابعها الميزان وخفته، وخامسها الصراط ودقته». فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا المقال بكى بكاء كثيراً حتى

(١) دلائل النبوة للبيهقي.

(٢) أخرجه الدارمي في مسنده.

(٣) رواه البخاري.

بكت السموات السبع والملائكة كلها، فنزل جبريل وقال: يا محمد قل لأبي بكر حتى لا يبكي، أما سمع من العرب: لكل داء دواء إلا الموت؟ ثم قال: من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته، ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته، ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضيقه، ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبتهما، ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته»^(١).

عرض أعمال الأحياء على الموتى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»^(٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أعمالكم تعرض على عشائركم وأقربائكم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا بذلك، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»^(٣).

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعواً:

١ - نأخذ دروساً من هذه الحياة أن الدنيا هي دار امتحان، والآخرة هي دار جزاء، والقبر هو أول منزل من منازل الجزاء إن كان صاحبه من أهل الخير والمعروف ووفق لخير الأماكن، وإن كان صاحبه من أهل الشر سكن شر الأماكن.

٢ - ليس جمال القبر في الظاهر، من جص وجصين وزخرفة، إنما جماله من داخله، كم من لسان فصيح وهو تحت طبقات الأرض يصيح.

(١) حكايا الصوفية.

(٢) رواه أحمد وعزاه من كنز العمال.

(٣) رواه الطيالسي في مسنده.

٣ - الأجل من كل هذا من قرأ كلام الله ﷻ، كان آمناً في الدنيا من كل شرّ، وفي القبر من عذاب القبر، ويوم القيامة يفوز بالميزان والصراط. إذاً: كلام الله ﷻ هو مركب النجاة، والإسلام والإيمان هما شاطئ الأمان.

obeikandi.com

فهرس المراجع والمصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير ابن كثير .
- ٣ - أحاسن المحاسن: أبي إسحاق الرقي .
- ٤ - الصلاة أسرارها: عبد الله سراج .
- ٥ - لطائف المعارف: أبي الفرج الحنبلي .
- ٦ - التذكرة في أحوال الموتى: القرطبي .
- ٧ - رياض الصالحين: النووي .
- ٨ - لطائف المنن: عطاء الله الكندري .
- ٩ - شعب الإيمان: عبد الجليل القصري .
- ١٠ - كتاب التوابين: المقدسي .
- ١١ - الترغيب والترهيب: المنذري .
- ١٢ - آباء وأبناء: فاروق حمادة .
- ١٣ - تفسير سورة الفاتحة: عبد الله سراج الدين .
- ١٤ - صعود الأقوال ورفع الأعمال: عبد الله سراج الدين .
- ١٥ - نهاية الظالمين: سعيد يوسف أبو عزيز .
- ١٦ - الخطايا في نظر الإسلام: عبد الله طبارة .
- ١٧ - روض الرياحين: أبو السعادات .
- ١٨ - الصبر: يوسف القرضاوي .
- ١٩ - التقريب إلى الله: عبد الله سراج .
- ٢٠ - حالة أهل الحقيقة مع الله: أحمد بن علي الرفاعي .

- ٢١- تنبه الفكر إلى حقيقة الذكر: محمد أديب كلكل.
- ٢٢- الروض الفائق: عبد الرحمن العكل.
- ٢٣- الوافي في شرح الأربعين النووية: مصطفى البغا.
- ٢٤- شرح الصدور: السيوطي.
- ٢٥- تهذيب مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية.
- ٢٦- حياة الصحابة: الكاندهلوي.
- ٢٧- إحياء علوم الدين: الإمام الغزالي.
- ٢٨- الوصايا: ابن العربي.
- ٢٩- الموسوعة اليوسفية: يوسف خطار محمد.
- ٣٠- شرح الرسالة القشيرية: عبد الجليل العطا.
- ٣١- صور من حياة الصحابة: عبد الرحمن رأفت باشا.
- ٣٢- الفتح الرباني: عبد القادر الجيلاني.
- ٣٣- الداء والدواء: ابن قيم الجوزية.
- ٣٤- الدرر البهية: أحمد الجامي.
- ٣٥- آداب إسلامية: محمد خير فاطمة.
- ٣٦- إيقاظ الهمم شرح الحكم: ابن عجيبة.
- ٣٧- المبشرون بالنار: أحمد خليل جمعة.
- ٣٨- منهاج القاصدين: عبد الرحمن مقدسي.
- ٣٩- غريزة أم تقدير إلهي: شوقي أبو خليل.
- ٤٠- صور من حياة صحايات الرسول: خالد العكل.
- ٤١- نساء أهل النار: مصطفى مراد.
- ٤٢- تنبيه الغافلين: أبو الليث السمرقندي.
- ٤٣- فقه السيرة: محمد سعيد البوطي.

- ٤٤- شرح الأحاديث القدسية: محمد متولي الشعراوي.
- ٤٥- منهج التربية النبوية للطفل: عبد الحفيظ سويد.
- ٤٦- حقائق عن التصوف: عبد القادر عيسى.
- ٤٧- موسوعة الخطباء والمرشدين: يوسف خطار محمد.
- ٤٨- صور من حياة التابعين: عبد الرحمن رأفت.
- ٤٩- إعجاز القرآن في خلق الإنسان: محمد كمال عبد العزيز.
- ٥٠- بستان الواعظين ورياض السامعين: أبي الفرج بن الجوزي.
- ٥١- المعجم المفهرس.
- ٥٢- السيدة نفيسة: مسعد محمد علي.
- ٥٣- قصص الأنبياء: محمد متولي الشعراوي.
- ٥٤- الأنوار المحمدية: الشيخ يوسف النبهاني.
- ٥٥- هدي النبي في الصلوات الخاصة: نور الدين عتر.
- ٥٦- المستطرف من كل فن مستظرف: بهاء الدين الأبهني.
- ٥٧- فضل الصلاة على النبي ﷺ: عبد الله سراج الدين.
- ٥٨- العبادة: يوسف القرضاوي.
- ٥٩- أسماء الله الحسنى وخواصها: محمد ولي.
- ٦٠- قيام الليل وأسراه: يوسف خطار محمد.
- ٦١- مكاشفة القلوب: أبو حامد الغزالي.
- ٦٢- حكايا الصوفية: محمد أبو اليسر عابدين.
- ٦٣- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب: محمد أمين الكردي.
- ٦٤- سر الأسرار: عبد القادر الجيلاني.